

*Claire A. Nelson | كلير نيلسون

Translation: Editorial Board | ترجمة: هيئة التحرير

كيف نتشارك المستقبل؟ البحث عن نموذج جديد لخلق استدامة دائمة*

How we Share the Future? The Search for a New Paradigm for
Creating Enduring Sustainability

المُعزف الرقمي DOI

<https://doi.org/10.31430/MZOL9888>



* Claire A. Nelson, "How we Share the Future: The Search for a New Paradigm for Creating Enduring Sustainability," *Human Futures* (June 2025), pp. 10-15.

ماذا لو نظرنا - نحن البشر - إلى أنفسنا بوصفنا مساهمين في الأرض، وفي أمتنا، وفي مجتمعنا، وفي النظم الاجتماعية والبيئية؟ هل يمكننا تحقيق الاستدامة؟ وهل يمكننا تحقيق السلام؟ وهل يمكننا إيجاد مساحة آمنة وعادلة للبشرية جمعاء؟ ثمة جدل بين المستقبلين؛ أكنّا في فترة من التفكك؛ أي فترة من تراجع التماسك الاجتماعي، وعدم الاستقرار الاقتصادي، وضعف المؤسسات التقليدية، أم في فترة تحوّل أو أزمة رابعة؛ أي حقبة حاسمة من الاضطراب والتحوّل، غالبًا ما تتسم بالصراع أو الثورة، حيث يجري استبدال النظام القديم بنظام جديد⁽¹⁾، كما عرّفها وليم شتراوس ونيل هاو في كتابهما **المنعطف الرابع**⁽²⁾.

نحن في مرحلة حرجية؛ فوفقًا لأحدث تقييم أجراه مركز ستوكهولم للمرونة في عام 2023، تجاوزت البشرية ستة من الحدود التسعة للكوكب؛ ما يعرّض نظام الأرض لخطر متزايد من التغير البيئي الذي لا رجعة فيه. وهذه الحدود الستة هي: التغير المناخي، وسلامة المحيط الحيوي (خاصة فقدان التنوع الجيني)، وتغير نظام الأراضي، والتدفقات البيوجيوكيميائية (خاصة دورات النيتروجين والفوسفور)، وتغير المياه العذبة (لا سيّما أنظمة رطوبة السطح والتربة)، والكيانات الجديدة (مثل التلوث الكيميائي، والبلاستيك). وتعكس هذه التجاوزات الضغوط غير المستدامة الناجمة عن الأنشطة البشرية التي تزعزع استقرار العمليات الحيوية للأرض. وإضافة إلى ذلك يوجد حدّان آخران: تحمّض المحيطات وتحميل الهباء الجوي، وهما يقتربان من عتبات حرجية، أو لا يزال من الصعب قياسهما على نحو كامل على المستوى العالمي. ولم يتمكن سوى حدّ واحد - وهو استنفاد الأوزون الستراتوسفيري - من العودة بنجاح إلى نطاق التشغيل الآمن، ويرجع ذلك إلى الإجراءات الدولية المنسقة، على غرار "بروتوكول مونتريال"⁽³⁾.

يؤكد هذا التقييم ضرورة إحداث تغييرات نظامية في طريقة إدارتنا لعلاقتنا بالكوكب. وبعبارة أخرى، هناك حاجة ملحة إلى تغيير سلوكنا وثقافتنا وأنظمتنا الاجتماعية؛ على اعتبار أن العديد من الأنظمة الاجتماعية تؤثر تأثيرًا بالغًا في حدود الكوكب. وترتبط النظم الغذائية، ونظم الإنتاج، وأنماط الاستهلاك، والتنمية الحضرية، ارتباطًا وثيقًا بالأنشطة البشرية، والهياكل المجتمعية. وتؤثر هذه النظم في حدود الكوكب، مثل التغير المناخي، وفقدان التنوع البيولوجي، والتدفقات البيولوجية - الجيولوجية - الكيميائية، وتغير نظام الأراضي. لكن تغيير النظام الاجتماعي أمر صعب؛ بسبب تعقيد النظم الاجتماعية، ومقاومة الأفراد والجماعات للتغيير، والحاجة إلى بذل جهد جماعي لمعالجة الأسباب الجذرية للمشكلات.

1 تتمثل خلفية هذا الاستبدال في منظور أنطونيو غرامشي، الذي يرى أن النظام الاجتماعي القديم لا يُستبدل بنظام جديد بسبب الانهيار الاقتصادي أو السياسي فحسب، بل من خلال صراع على الهيمنة، يضمن فيه تكتل اجتماعي ناشئ القيادة الفكرية، والأخلاقية، والسياسية، على مستوى كلّ من الدولة والمجتمع المدني. وعادةً ما يحدث هذا التحوّل في خضم أزمة عضوية أو فترة فراغ سياسي، عندما يفقد النظام القائم شرعيته، قبل أن يتوطد تكتل تاريخي جديد كليًا. (المترجم)

2 William Strauss & Neil Howe, *The Fourth Turning: An American Prophecy* (New York: Broadway Books, 1997).

3 "بروتوكول مونتريال" (Montreal Protocol) هو معاهدة دولية أبرمت عام 1987 بهدف حماية طبقة الأوزون في الستراتوسفير، من خلال التخلص التدريجي من إنتاج المواد المستنفدة للأوزون واستهلاكها، وذلك عن طريق تدابير رقابة ملزمة قانونًا، ومنسقة على الصعيد العالمي. ويُعدّ البروتوكول على نطاق واسع اتفاقًا بينيًا متعدد الأطراف تاريخيًا، كما اكتسب أهمية كبيرة في مجال إدارة المناخ، من خلال التعديلات اللاحقة، مثل "تعديل كيغالي" (Kigali Amendment). (المترجم)

الأنظمة الاجتماعية هي شبكات معقدة من الأفراد والمؤسسات والعمليات، حيث يمكن أن تؤدي التغييرات في مجال واحد إلى آثار متتالية في النظام بأكمله. وغالبًا ما تظهر خصائص ناشئة؛ ما يعني أن الكل أكبر من مجموع أجزائه. ويمكن أن يكون سلوك الأنظمة الاجتماعية غير متوقع، ويصعب التحكم فيه. وعلاوة على ذلك، نظرًا إلى تعقيدها وترابطها، فقد يكون من الصعب إقامة روابط سببية واضحة بين تدخلات محددة والنتائج المرجوة.

تقاوم الأنظمة الاجتماعية التغيير بسبب التحيز إلى الوضع الراهن؛ إذ يميل الأفراد والجماعات إلى مقاومة التغيير؛ لأنهم قد يكونون مرتاحين للنظام الحالي، حتى لو كان ذلك بسبب الأدوار، أو السلطة، أو المزايا، يضاف إلى ذلك أن المعتقدات والرؤى المتأصلة بشأن كيفية عمل العالم يمكن أن تعوق جهود تغيير الأنظمة الاجتماعية. وهذا واضح في الوضع الحالي للتماسك الاجتماعي في الولايات المتحدة الأمريكية. وقد يكون من الصعب جدًا تحميل الأفراد والجماعات مسؤولية أفعالهم ومساهماتهم في النظام؛ فغالبًا ما يكون من الصعب تحديد المسؤولية، وعزل التأثير المحدد لتدخل معين في نظام معقد، بسبب تعدد العوامل المؤثرة. والأسوأ من ذلك، أن تقييم التأثير الطويل المدى لتغيير الأنظمة قد يكون صعبًا؛ لأن التغييرات قد لا تكون مرئية على الفور.

ولكن لا مفر من ذلك، نحن في حاجة إلى التغيير، من خلال نموذج جديد يتجاوز الأرباح والأطر الرأسمالية الغربية، ويتبنى أساسًا أعمق قائمًا على القيم لتشكيل المستقبل الذي نريده. وغالبًا ما تقصر المقاييس الحالية التي توجه عملية صنع القرار لدينا بصفتنا جنسًا بشريًا في تنمية التعاطف، والخيال، والوضوح الأخلاقي، اللازم لبناء عالم عادل ومزدهر. ثم إن برامج صندوق النقد الدولي وقواعد قطاع المساعدة الإنمائية الحالية، وحتى المحاولات الحسنة النية، مثل مبادرات "البيئة والمجتمع والحوكمة"⁽⁴⁾، لم تؤد إلى تحول بالسرعة اللازمة لتجنب مستقبل مثل سيناريو "قطار الانقراض" لعام 2050 الذي تصورته "أروب"⁽⁵⁾. وتتمثل الحقيقة في أن المستقبل المستدام لا يمكن هندسته من خلال التحسين وحده؛ بل ينبغي أولًا تصوره من خلال هدف مشترك. ينبغي أن نمنح قيمًا مثل التضامن، والتبادلية، والإيثار، والمعاملة بالمثل، والثقة، الأولوية. وينبغي لنا أن ندرك أن ترابطنا يتطلب منا أن نأخذ في الاعتبار مسؤوليتنا تجاه الأجيال المقبلة، فضلًا عن مسؤوليتنا تجاه الإدارة. ولكن كيف نصل من هنا إلى هناك؟ هل يمكننا تنظيم نقطة تحول اجتماعية تنقلنا إلى نموذج جديد؟

في إطار عمل نموذج "مستقبلات ذكية" (SMART Futures) الخاص بي، أضع نهجًا بسيطًا لتصميم البرامج يركز على الحاجة إلى قياس ما هو مهم. فهل يمكننا تحديد مقياس يسمح لنا برسم مسار نحو تحول نموذجي؟

4 مبادرات "البيئة والمجتمع والحوكمة" (Environmental, Social, and Governance, ESG) هي سياسات ومعايير استثمارية، وأطر إعداد تقارير، وبرامج تنظيمية، تركز على أهداف بيئية، واجتماعية، وحوكمة. ويشير هذا المصطلح إلى الجهود الرامية إلى جعل تمويل التنمية، والممارسات التجارية، والسياسات العامة، أكثر استدامة ومساءلة، من خلال تعزيز أهداف مثل خفض الانبعاثات، والإدماج الاجتماعي، ومعايير العمل، والشفافية، وتحسين الرقابة المؤسسية. (المترجم)

5 سيناريو "قطار الانقراض" (Extinction Express)، هو أحد "سيناريوهات عام 2050" الأربعة التي وضعتها الشركة الاستشارية العالمية "أروب" (Arup) في عام 2019، وهو سيناريو مستقبل متشائم، تتدهور فيه صحة الكوكب، والظروف الاجتماعية، على نحو حاد، وهو ما يمثل انهيًا للنظم الطبيعية، إلى جانب انهيار اجتماعي، بدلًا من مسار التنمية المستدامة. وفي هذا السيناريو، يؤدي التقاعس المطول، والاستغلال المفرط المستمر للموارد، إلى نقص حاد في الغذاء والمياه، وزعزعة استقرار النظم البيئية، وتفاوت شديد في الدخل، وارتفاع درجة الحرارة إلى ما يزيد عن 2 درجة مئوية، مع وجود مناطق محمية للأثرياء، وتفاقم انعدام الأمن بالنسبة إلى جزء كبير من بقية الساكنة. (المترجم)

عند تحديد المساحة الآمنة للبشرية، ماذا لو تمكّننا من تحديد الحدود الاجتماعية كما حددنا الحدود الكوكبية التسعة؟ ماذا لو عرفنا قيمة نقطة التحول الاجتماعي التي يمكن أن تقودنا إلى التحول النموذجي الذي نقول إننا نريده؟ إنه مقياس يمكن أن نلاحظه ونفهمه جميعًا.

يُفترض أن يبلغ المجتمع نقطة تحول حين ينحرف عدد كافٍ من الناس عن المعايير السائدة، بما يجعل هذا الانحراف جذابًا حتى بالنسبة إلى أولئك الذين يتجنبون المخاطرة أو يتقيدون بالمعايير السائدة، فيندفعون إلى محاكاتهم. ويمكن أن تحدث نقاط التحول الاجتماعية، عندما يغيّر الناس معتقداتهم وسلوكياتهم من أجل التصدي للتغير المناخي؛ ما يؤدي إلى تغييرات في السياسات، وابتكارات تكنولوجية. وقد وضع "ميثاق الأمم المتحدة من أجل المستقبل"⁽⁶⁾ رؤية قوية لتسريع التعددية، وترسيخ الوعي الكوكبي. وقماشًا مع ذلك، يدعو "إعلان الأجيال المقبلة"⁽⁷⁾ إلى العدالة بين الأجيال، والتفكير الطويل الأمد، والحكم الشامل.

ولكن لكي تتحقق هذه الطموحات، ينبغي لنا أن نتعامل مع حقيقة أساسية، مفادها أنه لا يمكننا تغيير ما لا نراه أو نسميه. وغالبًا لا نرى أو نسمي ما لا نقيسه. وربما ما نحتاج إليه الآن هو مقياس لا يقتصر على الناتج الاقتصادي أو الكفاءة، بل يشمل أيضًا ما يهم المجتمعات المستدامة، والعدالة، والمزدهرة، ألا وهو رأس المال الاجتماعي. فمن دون التماسك الاجتماعي المدفوع برأس المال الاجتماعي، لا مفر من الصراعات والحروب. ومن المؤكد أن قياس رأس المال الاجتماعي، وتصميم أنظمة لتحسينه، سيشكلان طريقًا نحو نموذج جديد.

لنتخيل "مؤشر رأس المال الاجتماعي للمستقبل" (Social Capital Index of the Future, SCIF). هل يمكن أن يكون مثل هذا المقياس ممكنًا؟ والأهم من ذلك، هل يمكن أن يحدث مثل هذا المقياس فرقًا؟ أعتقد أن الإجابة هي بالإيجاب؛ ذلك أن مؤشر رأس المال الاجتماعي للمستقبل يمكن أن يساعد في إعادة توجيه السياسات والحوكمة حول البنى التحتية الاجتماعية غير المرئية وغير الملموسة التي تدعم المجتمعات، كالتسامح، والتعاون، والنزاهة، والانتماء، والإنصاف، والوكالة الجماعية. وعلى عكس المؤشرات التقليدية التي تركز على تراكم الثروة، فإن هذا المؤشر سيُعترف بالمجتمعات ويكافئها على رعايتها لما يدعم الحياة، ليس من الناحية الاقتصادية فحسب، ولكن أيضًا من الناحية العلائقية، والثقافية، والبيئية. وستُجمع البيانات باستخدام أدوات تشاركية وحساسة للسياق: سرد القصص المجتمعية، وعلم المواطن، والاستطلاعات عبر الهاتف المحمول، والنقاشات المحلية. وبدلاً من التقييم الثابت، سيقدم رأس المال الاجتماعي للمستقبل رؤى ديناميكية ومتطورة لتوجيه القادة المحليين والمؤسسات الوطنية.

وسيجري بناء رأس المال الاجتماعي للمستقبل الحسّن التصميم على أساس أبعاد رئيسة، من أهمها:

6 "ميثاق الأمم المتحدة من أجل المستقبل" (UN Pact for the Future) هو اتفاق متعدد الأطراف، وموجه نحو العمل، اعتمدته الدول الأعضاء في الأمم المتحدة خلال "قمة المستقبل لعام 2024" التي عُقدت في 22 أيلول/سبتمبر 2024، ويهدف إلى تعزيز التعاون الدولي، وإصلاح الحوكمة العالمية، استجابةً للتحديات العابرة للحدود الوطنية المعاصرة، والناشئة. ويحدد الاتفاق التزامات في مجالات تشمل "التنمية المستدامة، والسلام والأمن، والتعاون الرقمي، والشباب والأجيال المقبلة، وتحويل الحوكمة العالمية". (المترجم)

7 "إعلان الأجيال المقبلة" (Declaration on Future Generations) هو إعلان سياسي صادر عن الأمم المتحدة، جرى اعتماده مرفقًا لميثاق الأمم المتحدة من أجل المستقبل خلال "قمة المستقبل لعام 2024"، ويُلمز الدول بإدماج مصالح الأجيال المقبلة وحقوقها ورفاهها في عمليات صنع القرار الحالية، والحوكمة العالمية. (المترجم)

- ✦ الثقة العلائقية (بين المجموعات، والمؤسسات، والأجيال).
- ✦ المشاركة المدنية (في صنع القرار والحوار، والتصويت).
- ✦ الرعاية المتبادلة والتبادلية (العمل التطوعي، وتقديم الرعاية، وتقاسم الموارد).
- ✦ الحيوية الثقافية (ممارسات الهوية، وسرد القصص، والتبادل بين الأجيال).
- ✦ الوكالة الجماعية والتمكين (إيمان المجتمعات بقدراتها على العمل).
- ✦ الإشراف البيئي (الحفاظ على البيئة، والعمل المناخي القائم على قيادة المجتمع).

ونظرًا إلى أننا نقيس هذه العوامل، فإننا نهتم بها، ومن خلال هذا الاهتمام، نساعد في تشكيل مستقبل يستحق أن نورثه. وسيمنح رأس المال الاجتماعي للمستقبل رؤيةً وقيمةً لهذه الجوانب من الحياة التي غالبًا ما يجري تجاهلها، ولكنها أساسية لمستقبل مستدام. وسيؤدي ذلك إلى تحويل سرديّة التقدم من المكاسب الاستخراجية إلى القدرة على التجدد. ويساعدنا ذلك على التوجه نحو حوكمة تراعي المستقبل، وتوائم خيارات اليوم مع حقوق الأجيال المقبلة واحتياجاتها.

يغدو تصميم المستقبل فعلًا جماعيًا، وقصةً نتشارك في صياغتها مع الأرض ومع الأجيال المقبلة التي لم نرها بعد. اليوم، تُنتج أطر عملنا الابتكار، لكننا نتجه نحو مستقبل يهدد رفاه البشرية. ومن ثم، فإن بناء مستقبل مزدهر يقتضي إعادة توجيه منظومة القيم نحو قيم تؤدي إلى التحوّل المنشود. فالمستقبل ليس سلعةً، بل هو إرث إنساني مشترك. ومن ثم، تقع على عاتقنا مسؤولية جماعية في صياغة المستقبل الذي ننشده. وكما تجسّد ذلك وثيقة "إعلان جيل المستقبل" التي جرى تبنيها في "قمة الأمم المتحدة للمستقبل"، فإن ازدهار البشرية المشترك يقتضي إعادة تصور المستقبل بوصفه أمانةً مقدّسة.

وبهذا المعنى المعاد تصوّره للملكية المشتركة، تغدو لدينا، بصفتنا وكلاء في المجتمع العالمي، مصلحة في الرفاه المشترك للكوكب. ونحن نشارك في رعايته، واستمراريته، وتجديده. وعلى هذا النحو، بدلاً من تعريف المساهم بأنه شخص يمتلك حصة في شركة لتحقيق ربح خاص، فإننا نعيد تعريف المساهم بأنه شخص: 1. يتحمل المسؤولية، وليس حقوق الملكية فقط، 2. يشارك في المشاعات، وليس في الأرباح فقط، 3. يعمل حارسًا للكل، وليس بصفته مستفيدًا من "جزء" أو أكثر فقط. نُعتبر الأرض المساهم الأصلي؛ لأنها تدعم جميع أشكال الحياة الاقتصادية، والاجتماعية، والبيولوجية. فمن دون الأرض، ما كان البشر موجودين. ومن دون القمر، ما كانت الأرض نقطة زرقاء باهتة موجودة.

وفي هذا المستقبل الذكي، حيث تشمل الاستدامة نموذجًا مدنيًا وبيئيًا معادًا تعريفه، لا يكون المساهم فاعلاً اقتصاديًا له مصالح مالية فحسب، بل أيضًا مشاركًا في إنشاء رأس المال الاجتماعي وإدارته؛ أي الثقة، والعلاقات، والمعايير المشتركة، والقيم الجماعية، التي تربط أفراد المجتمع معًا. وبصفتنا مواطنين، ومستهلكين، وأعضاء في مجتمعات - أي أعضاء في مجتمعات لها مصالح مشتركة - فإننا بصفتنا مساهمين لدينا مصلحة في الصالح العام، ودورنا أساسي في الحفاظ على البنى التحتية غير المرئية؛ أي الثقة، والمشاركة، والشرعية، والتماسك، التي تُبنى عليها النظم الاجتماعية للقانون والحكم.

وبهذا، فإنَّ رأس المال الاجتماعي هو:

- ✦ علائقي: متجذر في شبكات التعاون، والتبادل، والمشاركة المدنية.
 - ✦ معياري: يتشكّل من خلال مبادئ مشتركة، مثل الإنصاف، والكرامة، والمساءلة المتبادلة.
 - ✦ مؤسسي: ينعكس في شرعية الأنظمة القانونية والحوكمة واستجابتها.
- والمساهم المعاد تصوّره ينجز ما يلي:

- ✦ يبنى رأس المال الاجتماعي من خلال المشاركة الشاملة، والرعاية المجتمعية.
 - ✦ يحميه من خلال مقاومة التضييل، والفساد، والإقصاء.
 - ✦ يوزعه من خلال ضمان أن تعكس المؤسسات الأصوات المتنوعة وتستجيب لها.
- ينبغي لنا، إذًا، أن ننقل من قيمة المساهمين إلى القيم المشتركة، والعكس صحيح. فإيجاد القيمة، يتجاوز حدود تحقيق الأرباح ليشمل بناء الثقة، والنزاهة، والإنصاف، والاستدامة. ونحن ندرك أننا، بصفتنا مساهمين، نتشارك المسؤولية عن نزاهة نسيجنا الاجتماعي، ونحن شركاء في بناء المصلحة العامة.
- ولكي نتمكن من تحقيق مساحة آمنة وعادلة للبشرية، نحتاج إلى تحديد المقاييس الخاصة بالحدود الاجتماعية التي نعتز بها، وتعيينها على نحوٍ أفضل. وسنحتاج أيضًا إلى تحديد الظروف الاجتماعية العادلة، التي يمكن أن تزدهر فيها العدالة الاقتصادية والبيئية. ومن الأحياء إلى الدول، سنحتاج إلى أن ننسج التماسك الاجتماعي، ونسهم في رأس المال الاجتماعي، وألا نكون مستهلكين للأرباح المالية فحسب، بل نكون أيضًا مواطنين ومشاركين في إيجاد المشاعات، وحراس المصير المشترك.

ومع انتقالنا من الاستخراج إلى التجديد، ومن الإقصاء إلى الإدماج، ومن الربح القصير الأجل إلى الازدهار بين الأجيال، سنتصرف وكأننا نفهم أن النظم الحية ليست أشياء اقتصادية يمكن امتلاكها فحسب، بل هي أيضًا أصول ينبغي لنا احترامها وحمايتها، وأن المستقبل المزدهر يعتمد على صحة النسيج الاجتماعي ورفاهه. وعندما يتفكك النسيج الاجتماعي أو يتحوّل ومُزّق، لدينا فرصة لإعادة ضبط المستقبل من خلال تصميم منصات تشاركية ونشرها، حيث يمكن أن تشكّل جميع الأصوات، البشرية وغير البشرية، رواية الغد. وبذلك، نبدأ في بناء مستقبل لا يقوم على الأسس المتداعية لتعظيم الأرباح، بل على البنية الحية للنزاهة العلائقية والحكمة المشتركة والأمل المتجدد. وليس هذا تحوّلًا لغويًا؛ إنه تحوّل في النموذج. وادعاء أن "المساهم" يتضمن المواطنين والمستهلكين و"أفراد المجتمع"، هو تعطيل لفكرة الانفصال الوهمية. إنه تأكيد أننا لا نملك الأرض، بل نحن ننتمي إليها. وعلاوة على ذلك، فإنَّ بعضنا ينتمي إلى بعضنا الآخر؛ "أوبونتو"⁽⁸⁾.

8 "أوبونتو" (Ubuntu) هو مفهوم أخلاقي في جنوب أفريقيا، يُلخّص غالبًا بعبارة: "أنا موجود لأننا موجودون"، أو "إنسانيتنا المشتركة". وتستخدمه المؤلف هنا في ختام المقال كناية عن نداء ختامي للتضامن الإنساني، والرعاية المتبادلة، والكرامة، والترابط. (المترجم)

المراجع

Strauss, William & Neil Howe. *The Fourth Turning: An American Prophecy*. New York: Broadway Books. 1997.